

## عِلْمُ الدِّفَاعِيَّاتِ

المحاضرة ٢٩: الكتاب المقدس وعلم الدفاعيات، الجزء ٤

أ.ر. سي. سبرول

في المحاضرة السابقة، لاحظنا تناقضًا استثنائيًا نوعًا ما، بسبب اتفاق علماء العصر الحديث على أن يسوع علم نظرة سامية جدًا عن الكتاب المقدس، إذ قبل النظرية السائدة عن الكتاب المقدس في أيامه، وهي أنه موحي به من الله، وأنه كلمة الله، الكلام الحق الذي لا يمكن نفضه. ومع ذلك، أقر هؤلاء العلماء بأنه مع أن يسوع علم بهذه النظرية عن الكتاب المقدس، كان تعليمه غير صحيح. وأسرعوا مضيفين أنه لا بأس أن يكون يسوع مُحطًا في وصفه لطبيعة الكتاب المقدس، لأنه في ناسوته، كان من المستحيل أن يعرف الحقيقة الفعلية لهوية كاتب أسفار موسى الخمسة، وغيرها من المسائل التاريخية الشبيهة. هذه حجة كريستولوجية، تقول إن يسوع، في ناسوته، لم يكن يتمتع بصفة العلم الكلي، وإنَّ نَسَبَ صِفَةِ الْعِلْمِ الْكُلِّيِّ إِلَى نَاسُوتِ الْمَسِيحِ سَيَكُونُ انْتِهَاكَ لِلرَّأْيِ الْمَسِيحِيِّ الْمُحَافِظِ بِشَأْنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ طَبِيعَتَيْ الْمَسِيحِ.

يَعُودُ هَذَا الْجَدَلُ إِلَى حَادِثَةٍ سَابِقَةٍ، تَتَعَلَّقُ بِفَهْمِ الْكَنِيسَةِ لِتَعْلِيقاتِ يَسُوعَ فِي انْجِيلِ مَرْفُسَ، حِينَ سَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ عَنْ يَوْمِ مَحِيئِهِ ثَانِيَةً، فَأَجَابَ تَلَامِيذُهُ قَائِلًا إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْيَوْمَ وَلَا السَّاعَةَ، وَإِنَّ الشَّخْصَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَعْلَمُ الْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ هُوَ الْآبُ، وَلَيْسَ الْإِبْنُ، أَوْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ. إِذْنِ، فِي هَذَا النَّصِّ، قَالَ يَسُوعُ بِوُضُوحٍ إِنَّهُ تَمَّةٌ أَمْرٌ لَا يَعْرِفُهُ.

رَدًّا عَلَى تِلْكَ الْمُسْكَلةِ، قَدَّمَ الْقَدِيسُ ثُومَا الْأُكُوْبِيْنِيُّ نَظْرِيَّةً دُعِيَتْ "نَظْرِيَّةَ التَّكْيِيفِ"، لِأَنَّ الْقَدِيسَ ثُومَا قَالَ إِنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ لَاهُوتِ يَسُوعَ وَنَاسُوتِهِ كَانَتْ عِلَاقَةً وَحْدَةً كَامِلَةً، حَتَّى إِنَّ ثُومَا قَالَ إِنَّ أَيْ شَيْءٍ يَعْرِفُهُ اللَّاهُوتُ يَعْرِفُهُ النَّاسُوتُ أَيْضًا. وَبِالتَّالِي، كَانَ مِنَ الْمُحْتَمِّ أَنْ يَعْلَمَ يَسُوعُ الْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ. وَإِنَّمَا لِأَسْبَابٍ يَعْرِفُهَا هُوَ وَحْدَهُ، لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ الْحُرِّيَّةُ أَنْ يَنْقُلَ تِلْكَ الْمَعْرِفَةَ إِلَى تَلَامِيذِهِ. وَلِذَلِكَ، حَسَمَ نَوْعًا مَا الْمُسْكَلةِ، وَتَكْيِيفَ مَعَ جَهْلِهِمْ، قَائِلًا "لَا أَعْلَمُ". مُسْكَلةٌ ذَلِكَ، بِالتَّأَكِيدِ، هِيَ أَنَّ يَسُوعَ قَالَ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَمْرًا بَيْنَمَا هُوَ يَعْلَمُهُ بِالْفِعْلِ، الْأَمْرَ الَّذِي يُثِيرُ الشَّكَّ فِي مِصْدَاقِيَّتِهِ كَنِّيٍّ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلِ الصِّدْقَ هُنَا.

وَرَدًّا مِنَ الْبُرُوتَسْتَانْتِيَّةِ عَلَى رَأْيِ ثُومَا الْأُكُوْبِيْنِيِّ، وَرَأْيِ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ الَّتِي عَلَّمَتْ بِتَنَاقُلِ الصِّفَاتِ، أَيْ بِأَنَّ صِفَاتِ اللَّاهُوتِ تَنْتَقِلُ إِلَى النَّاسُوتِ. أَتَاخَ ذَلِكَ لِعَقِيدَةِ الْقُدَّاسِ الْإِلَهِيِّ أَنْ تُؤَكَّدَ أَنَّ يَسُوعَ، بِجَسَدِهِ وَدَمِهِ، يَكُونُ مَوْجُودًا فِي أَكْثَرِ مِنْ مَكَانٍ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ، لِأَنَّنا نَعْتَقِدُ عَادَةً أَنَّ الشَّخْصَ الْبَشَرِيَّ مَحْدُودٌ مَكَانِيًّا، وَبِالتَّالِي، لَا يُمَكِّنُ لِحَسَدِ إِنْسَانٍ أَنْ يَكُونَ فِي بُوْسْطُنَ وَدِيْتْرُوبِتَ وَسَانَ فَرَانْسِيْسُكُو فِي آنٍ وَاحِدٍ. وَكَيْ يَحْدُثَ ذَلِكَ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُخَضَعَ النَّاسُوتُ لِنَوْعٍ مِنَ التَّأْلِيهِ. وَتَعْلَمُ الْكَنِيسَةُ الْكَاثُولِيكِيَّةُ بِأَنَّ طَبِيعَةَ الْوُجُودِ الْكُلِّيِّ - أَوْ صِفَةَ الْوُجُودِ الْكُلِّيِّ لِلَّاهُوتِ -

انْتَقَلَتْ إِلَى نَاسُوتِ يَسُوعَ، بِحَيْثُ أَمَكَّنَهُ أَنْ يُوجَدَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَكَانٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ. وَبِالْمِثْلِ، الْعِلْمُ الْكُلِّيُّ لِلْأَهْوَتِ انْتَقَلَ إِلَى النَّاسُوتِ.

أُولَئِكَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ، الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ يَسُوعَ كَانَ مُخْطِئًا فِي نَظَرِيهِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَإِنَّهُ لَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ، بَنَوْا حُجَّتَهُمْ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الْمَسِيحِيَّةَ التَّقْلِيدِيَّةَ الْمُحَافِظَةَ، كَمَا نَرَاهَا فِي مَجْمَعِ خَلْقِيدُونِيَّةِ لِعَامِ أَرْبَعِمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَخَمْسِينَ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ، قَالَتْ عَنِ الطَّبِيعَتَيْنِ إِنَّ "طَبِيعَتِي الْمَسِيحِ لَيْسَتْ مُخْتَلِطَتَيْنِ، أَوْ مُمْتَزَجَتَيْنِ، أَوْ مُنْفَصَلَتَيْنِ، أَوْ مُنْقَسِمَتَيْنِ، وَكُلُّ طَبِيعَةٍ تَحْتَفِظُ بِصِفَاتِهَا"، مَا يَبْدُو أَنَّهُ يَتَعَارَضُ بِوُضُوحٍ مَعَ آيَةِ فِكْرَةٍ عَنِ الْخَلْطِ بَيْنَ النَّاسُوتِ وَالْأَهْوَتِ، بِحَيْثُ يَنْقُلُ اللَّاهُوتُ الْأُلُوهُيَّةَ لِلنَّاسُوتِ. وَتَارِيحِيًّا، الْهَرَطَقَةُ - أَوْ إِحْدَى الْهَرَطَقَاتِ - الَّتِي هَاجَمَتْهَا الْكَنِيسَةُ، بِسَبَبِ تَجَاهُلِهَا لِنَاسُوتِ يَسُوعَ الْحَقِيقِيِّ، هِيَ الْهَرَطَقَةُ الدُّوسِيَّتِيَّةُ الْقَدِيمَةُ. وَفِي أْبَسْطِ الصُّورِ، كَانَ الدُّوسِيَّتِيُّونَ الْأَوَائِلَ سَكَلًا - أَوْ فَرْعًا - مِنَ الْعُنُوسِيِّينَ، الَّذِينَ تَحْتَ تَأْثِيرِ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ، لَمْ يُؤْمِنُوا بِأَنَّ اللَّهَ، فِي جَوْهَرِهِ الْبَحْتِ، يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّخِذَ جَسَدًا مَادِّيًّا، لِأَنَّهُ بِذَلِكَ، وَبِحَسَبِ الْفِكْرِ الْيُونَانِيِّ، يُلَوِّثُ ذَاتَهُ. وَبِالتَّالِي، قَالَ الدُّوسِيَّتِيُّونَ إِنَّ يَسُوعَ الَّذِي نَرَاهُ عَبْرَ صَفَحَاتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ جَسَدٌ مَادِّيٌّ حَقِيقِيٌّ، لَكِنَّهُ فَقَطْ بَدَأَ أَوْ ظَهَرَ كَمَا لَوْ أَنَّ لَهُ جَسَدًا بَشَرِيًّا. كَلِمَةُ "دُوسِيَّتِي" مُسْتَقَّةٌ مِنَ الْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ "دُوكِيُو"، وَمَعْنَاهَا "يَبْدُو، أَوْ يَظُنُّ، أَوْ يَظْهَرُ". وَهَكَذَا، كَانَتْ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ الْقَدِيمَةُ تُؤْمِنُ بِأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ جَسَدٌ مَادِّيٌّ حَقِيقِيٌّ. تُوَاجِهُ رَسَائِلُ يُوحَنَّا ذَلِكَ، حَيْثُ قَالَ يُوحَنَّا إِنَّ رُوحَ ضِدِّ الْمَسِيحِ هُوَ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ جَاءَ فِي الْجَسَدِ.

كَمَا ذَكَرْتُ، هَذِهِ هِيَ الدُّوسِيَّتِيَّةُ فِي أْبَسْطِ صُورِهَا، الَّتِي تُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ كَانَ لَدَيْهِ جَسَدٌ مَادِّيٌّ. لَكِنْ لِلدُّوسِيَّتِيَّةِ أَكْثَرُ مِنْ شَكْلِ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ أَشَدَّ مَكْرًا وَلَبَاقَةً. وَالْأَشْكَالُ الْأَشَدُّ لَبَاقَةً لِلدُّوسِيَّتِيَّةِ هِيَ آيَةُ نَظَرِيَّةِ عَنِ يَسُوعَ تَنْفِي بِمَكْرٍ، وَبِآيَةِ وَسِيلَةٍ، الْمَحْدُودِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ لِنَاسُوتِهِ. قَالَ كَارْلُ بَارْت، مَثَلًا، إِنَّ الْإِفْتِرَاضَ بِأَنَّ يَسُوعَ كَانَ كُلِّيَّ الْعِلْمِ، حَتَّى مِمَّنْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ كَانَ لَدَيْهِ جَسَدٌ مَادِّيٌّ حَقِيقِيٌّ، يَظَلُّ هُوَ إِعَادَةٌ صِيَاعَةٌ لِلْهَرَطَقَةِ الدُّوسِيَّتِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، لِأَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنِ إِخْفَاقٍ فِي إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ النَّاسُوتِ. وَبِالطَّبْعِ، تَمَادَى بَارْتُ إِلَى حَدِّ أَنْ يَرْتَدَّ أَرْجُو أَنْ نَرَاهُ بَعْدَ قَلِيلٍ.

كَيْ نُلَخِّصَ ذَلِكَ، نَقُولُ إِنَّ الْبُرُوتِسْتَانْتِيَّةَ الْقَدِيمَةَ تَقْبَلُ بِأَنَّ يَسُوعَ فِي نَاسُوتِهِ لَمْ يَكُنْ كُلِّيَّ الْعِلْمِ، وَبِأَنَّ صِفَةَ الْعِلْمِ الْكُلِّيِّ الْإِلَهِيَّةِ لَمْ تَنْتَقِلْ إِلَى يَسُوعَ. قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ صَعْبًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْعَادِيِّينَ، لِأَنَّنَا، مِنْ نَاحِيَةٍ، نَرَى يَسُوعَ يُظْهِرُ مَا قَدْ نُسِمِيهِ بِالْمَعْرِفَةِ الْفَائِقَةِ. فَقَبْلَ لِقَائِهِ بِثَنَائِيْلَ، كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ. وَأَخْبَرَ امْرَأَةَ سُوحَارَ بِقِصَّةِ حَيَاتِهَا كَامِلَةً. وَكَانَتْ لَدَيْهِ بَصِيرَةٌ نَبَوِيَّةٌ، حَيْثُ تَنَبَّأَ بِالْمُسْتَقْبَلِ بِدِقَّةٍ اسْتِنَائِيَّةٍ. لَكِنْ مُجَدِّدًا، لَيْسَ عَلَى أَحَدِهِمْ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، كِتَابِيًّا، حَتَّى يُظْهِرَ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، الَّذِينَ لَا يُوجَدُ أَيُّ بُرْهَانٍ عَلَى أُلُوهُيَّتِهِمْ، أَظْهَرُوا أَيْضًا مَعْرِفَةً اسْتِنَائِيَّةً.

تاريخياً، تُدرك الكنيسة أنّ اللاهوت، أو الله، يُمكن أن ينقل معلوماتٍ إلى إنسانٍ، دون أن يجعل من هذا الإنسان إلهًا. ومن الواضح أنّ الله، في اللاهوت، نقل بعض المعلومات إلى يسوع، ما كان يسوع ليَعْرِفَهَا في بشرته الطبيعية. فما كان ليَعْرِفَ أن هيكَل أورشليم سيخرب في عام سبعين ميلادية، لكيته تنبأ عن ذلك بدقة استثنائية. لكن، لكونه نبيًا، تلقى معلوماتٍ من الله، دون أن يفسد أو يقضي ذلك بأي شكلٍ على محدودية ناسوته. إذن، دعوني أخص ذلك. يُمكن لتي في العهد القديم، أو ليسوع في العهد الجديد، أن يظهر مستويات استثنائية من المعرفة، لا يُمكن أن يتمتع بها سوى الله، ولا يُمكن سوى لله أن يكون مصدر معلوماته، دون أن يكون في الوقت ذاته كَلِّ العلم.

إذن، أعتقد أنّ الثقاد مُحفون لاهوتياً في قولهم إن يسوع، في ناسوته، لم يكن كَلِّ العلم. لكنهم يتخذون خطوةً أبعد قائلين: "بما أنه ليس كَلِّ العلم، فلا بأس أن يُخطئ في تعليمه". وهذه هي الفكرة التي أود معارضتها، وهي أنّ يسوع، في الناسوت، وكَي يكون مؤهلاً ليكون حمل الله، وأدم الجديد، ولتقدم نفسه ذبيحة لله، كان مطالباً بالكمال في ناسوته، وأن يكون بلا خطية. والآن، السؤال البسيط هو: هل من الخطية أن ارتكب خطأً إذا لم تكن لدي وسيلة لمعرفة الصواب؟

دعوني أعود للوراء قليلاً، وأوضح دوري كمعلم وأستاذ في كلية اللاهوت، حيث أدخل الصف، ولا أقول إنني معصوم من الخطأ أو شيء من هذا القبيل. فهذا أمرٌ بديهي، إذ يدرك الطلاب أنني مجرد إنسان، وأتني أرضي، وأرتكب الأخطاء. نعلم ذلك. وفي الوقت ذاته، نعلم أيضاً أنّ الطلاب هم، إلى حد كبير، تحت رحمة أساتذتهم. والعهد الجديد يُحذّرنا قائلاً: "لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم!" هذا تحذير أيضاً للمعلمين الذين بتعليمهم الخاطيء يفسدون صغار المؤمنين. فخير لهم لو لم يولدوا، أو أن تطوق أعناقهم بحجرٍ رحي، من أن يفعلوا ذلك، أي أن يضلوا الحراف.

أشعر بالزامٍ داخل الصف، حين أجيب عن الأسئلة، بلأ ألق الإجابات البتة. فإذا طرح عليّ طالب سؤالاً لا أعرف إجابته، أرى أنه من واجبي الأخلاقي أن أخبره بأنّي لا أعرف الجواب، ولأ أحاول إبهاره بأجوبة منمقة. وأعتقد أنه من المهم أيضاً أن أفعل التالي: من جهة كل ما أعلمه في اللاهوت، من المؤكد أنني لا أتمتع بالمستوى ذاته من اليقين أو الإقتناع بصحة آرائي بشأن كل فكرٍ أتبناه. فإن سألتُموني ما إذا كنت متأكدًا من أنّ الميلاد الثاني يسبق الإيمان، سأجيب: "أجل، أنا متأكدٌ من ذلك بقدر تأكدي من الهواء الذي أتنفسه". وإن سألتُموني إذا كنت أتمتع بهذا اليقين ذاته بشأن الأمور الأخيرة، سأجيب بالنفي. لذا، أعتقد أنه ينبغي أن أقول لطلابي: "أرى أنّ هذا هو الفكر

الصَّحِيحُ، لَكِنِّي لَسْتُ مُتَأَكِّدًا. أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الدَّرَاسَةِ. فَإِنِّي أَرَى أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْمَسْئُولِيَّةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ لِأَيِّ شَخْصٍ مُنِحَ سُلْطَةٌ تَعْلِيمِيَّةٌ فِي مَجَالِ التَّعْلِيمِ.

فِي الْمُقَابِلِ، بَرَزَ يَسُوعُ عَلَى السَّاحَةِ التَّارِيخِيَّةِ، وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: "لَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهِذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي"، مُدْلِيًا بِهِذَا بِتَصْرِيحٍ يَجِبُ أَلَّا يُدْلَى بِهِ أَيُّ مُعَلِّمٍ بَشَرِيٍّ، إِلَّا إِذَا كَانَ تَصْرِيحًا صَحِيحًا. فَهُوَ لَمْ يَكْتَفِ بِالْقَوْلِ: "أَنَا أَشْهَدُ لِلْحَقِّ"، بَلْ قَالَ "أَنَا هُوَ الْحَقُّ، وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي". فَالْمُعَلِّمُونَ يَعْرِضُونَ مُوهَلَاتِهِمُ الَّتِي تُعْطِيهِمْ مُصَدَّقِيَّةً. لَكِنَّ هَذَا تَصْرِيحٌ يَفُوقُ مَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ مُعَلِّمٍ الْإِدْلَاءَ بِهِ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ قَالَ إِنَّهُ التَّجْسِيدُ الْحَقِيقِيُّ لِلْحَقِّ نَفْسِهِ.

إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمْ إِلَى هُنَا قَائِلًا: "لَسْتُ أَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يُخْبِرُنِي بِهِ اللَّهُ. أَنَا هُوَ الْحَقُّ"، ثُمَّ أَمَكَّنَكُمْ إِثْبَاتُ ارْتِكَابِهِ خَطَأً تَلُو الْأَخْرَ تَلُو الْأَخْرَ، فَكَيْفَ سَيُؤَثِّرُ ذَلِكَ عَلَى ادِّعَائِهِ بِأَنَّهُ الْحَقُّ مُتَجَسِّدًا؟ وَالْأَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ سَيُؤَثِّرُ ذَلِكَ عَلَى عِصْمَةِ يَسُوعَ، لَوْ كَانَ يُضِلُّ شَعْبَهُ، وَيُضِلُّ كَنِيستَهُ، مُدْعِيًا أُمُورًا لَا يَتَمَتَّعُ بِهَا فِعْلِيًّا، وَمُدْعِيًا صِحَّةَ أُمُورٍ هِيَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ. فَقَدْ انْتَقَدَ الْفَرِيسِيِّينَ ذَاتَ مَرَّةٍ قَائِلًا: "أَنْتُمْ تُصَفُّونَ عَنِ الْبُعُوضَةِ وَتَبْلَعُونَ الْجَمَلَ"، ثُمَّ تَابَعَ قَائِلًا "إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ السَّمَاوِيَّاتِ؟" وَمَعَ ذَلِكَ، يُوجَدُ جِيلٌ كَامِلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يُسَمُّونَ مَسِيحِيِّينَ، مِمَّنْ يَقُولُونَ: "نُؤْمِنُ بِيَسُوعَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالسَّمَاوِيَّاتِ، لَكِنَّ حِينَ يُخْبِرُنَا بِأُمُورٍ أَرْضِيَّةٍ - مِثْلَ كَيْفِيَّةِ تَكُونُ قَائِمَةَ الْأَسْفَارِ الْقَانُونِيَّةِ، وَهُوِيَّةِ كَاتِبِ الْأَسْفَارِ الْخُمْسَةِ الْأُولَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ - لَا يَسَعُنَا الْوُثُوقُ بِهِ". أَقُولُ لَهُؤُلَاءِ: "أَنْتُمْ أَكْثَرُ مَنْ تُصَفُّونَ عَنِ الْبُعُوضَةِ وَتَبْلَعُونَ الْجَمَلَ".

أَعْتَرِفُ بِوُجُودِ صُعُوبَاتٍ فِي التَّوْفِيقِ بَيْنَ بَعْضِ التَّفَاصِيلِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَأَرَى أَنَّ ٩٩.٩٪ مِنْهَا جَرَى التَّوْفِيقُ بَيْنَهَا بِشَكْلِ كَافٍ. لَكِنَّ تَظَلُّ هُنَاكَ بَعْضُ الْمَشْكِلاتِ الصَّغِيرَةِ الْمُرْجَعَةِ الَّتِي تَحُومُ حَوْلَ رَأْسِي كَالْبُعُوضِ. وَتَعَامُلِي مَعَ ذَلِكَ الْبُعُوضِ يَحْتَلِفُ تَمَامًا، مِنَ الْمَنْظُورِ الْأَكاديمِيِّ، عَنِ قَوْلِي: "بِسَبَبِ ذَلِكَ الْبُعُوضِ، سَأَتَخَلَّى عَنِ نَظَرَتِي لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَلَى أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ الْحَقِيقِيَّةُ، لَكِنَّ سَأَطَّلُ أَوْ مِنْ بَصِحَّةِ تَصْرِيحَاتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". هَذَا الْجِيلُ بِأَكْمَلِهِ صَفَى عَنِ الْبُعُوضَةِ وَبَلَغَ الْجَمَلَ. فَإِذَا أَفْنَعْتُمُونِي، مَثَلًا، بِأَنَّ يَسُوعَ كَانَ مُحْطِطًا فِي تَعَالِيهِ، أَيُّ تَعَالِيهِ الْمَوْثُوقَةِ بِشَأْنِ طَبِيعَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لَنْ أُولِي يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ خَمْسَ دَقَائِقَ إِضَافِيَّةٍ مِنْ اهْتِمَامِي، بِبَسَاطَةٍ لِأَنَّ هَذَا سَيَجْرُدُ أَهْلِيَّتَهُ بِأَنَّ يَكُونَ وَيَفْعَلُ مَا يَقُولُهُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ عَنْهُ وَعَنْ عَمَلِهِ مِنْ آيَةٍ مُصَدَّقِيَّةٍ.

إِذَنْ، أَظُنُّ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتَعَلَّقُ بِعِلْمِ يَسُوعَ الْكُلِّيِّ، بَلْ بِعِصْمَتِهِ مِنَ الْخَطْأِ وَمَسْئُولِيَّتِهِ عَنِ الْأَيِّ يَدْعِي تَمَتُّعَهُ بِسُلْطَةِ أَوْ صِدْقِ يَفُوقَانِ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فِعْلِيًّا. وَتِلْكَ هِيَ الْفِكْرَةُ الَّتِي أَثَارَهَا مَرَارًا أَوْلِيكَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا فِي بِنْسَلْفَانِيَا فِي أَوَائِلِ السَّبْعِينِيَّاتِ.

كَذَلِكَ، مِنْ جِهَةِ مَفْهُومِ وَحْيِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، قَالَ كَارُلُ بَارْتُ إِنَّ عَقِيدَةَ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هِيَ مَا يُسَمِّيهِ بِالْدُوسِيْتِيَّةِ الْكِتَابِيَّةِ. وَقَدَّمَ التَّشْبِيهَ التَّالِيَّ: كَمَا فِي الْهَرَطَقَاتِ الْقَدِيمَةِ جَرَتِ الْمُسَاوَمَةُ فِي طَبِيعَةِ يَسُوعَ الْحَقِيقِيَّةِ بِالْمَبَالِغَةِ فِي تَأْلِيهِ النَّاسُوتِ، يَنْطَبِقُ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى عَقِيدَةِ وَحْيِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، لِأَنَّنا نَعْلَمُ بِالتَّأَكِيدِ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ كَتَبَهُ بَشَرٌ. فَلَا شَكَّ فِي وُجُودِ جَانِبٍ مِنَ التَّأْلِيفِ الْبَشَرِيِّ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَلَدَيْنَا سَفَرُ إِرَمِيَا، وَسَفَرُ حَزَقِيَّالَ، وَالْإِنْجِيلُ بِحَسَبِ يُوحَنَّا، وَالْإِنْجِيلُ بِحَسَبِ لُوقَا، وَالْإِنْجِيلُ بِحَسَبِ مَتَّى. فَاللَّهُ لَمْ يَكْتُبْ كِتَابًا بِإِصْبَعِهِ، ثُمَّ أَنْزَلَهُ مِنْ مِظْلَةٍ مِنَ السَّمَاءِ، بِحَيْثُ لَمْ يَكُنْ لِلْبَشَرِ أَيُّ دَوْرٍ فِي إِصْدَارِ ذَلِكَ الْكِتَابِ.

ثُمَّ تَابَعَ بَارْتُ قَائِلًا إِنَّهُ مِنَ الْبَدِيهِيِّ فِي مَفْهُومِنَا عَنِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ، هَذِهِ الْجُمْلَةُ الشَّائِعَةُ، صَحِيحَةٌ: "Errare humanum est" - "الْحُطْأُ سِمَةُ الْبَشَرِ". وَقَالَ إِنَّ عَقِيدَةَ الْوَحْيِ هِيَ نَظْرَةٌ دُوسِيْتِيَّةٌ لِلْكِتَابِ الْبَشَرِيِّ، لِأَنَّهَا تَفْتَرِضُ أَنَّ الْكِتَابَ الْبَشَرِيَّ أَمْكَنَهُمْ إِصْدَارُ شَيْءٍ لَا يَحْوِي حُطْأً. وَبِذَلِكَ، تَمَّتِ الْمُسَاوَمَةُ فِي بَشَرِيَّةِ الْكِتَابِ بِطَرِيقَةٍ رُوحِيَّةٍ.

تَرُدُّ عَلَى كَارُلِ بَارْتُ سَرِيعًا كَالْتَّالِي: فَمَعَ أَنَّهُ مِنَ الْمُعْتَادِ وَالطَّبِيعِيِّ بِالْفِعْلِ أَنْ يُحْطِئَ الْبَشَرُ، لَا يَعْني ذَلِكَ أَنَّنا كُنَّا نَكُونُ بَشَرًا بِالْفِعْلِ، يَجِبُ أَنْ نُحْطِئَ. فَنَحْنُ نَرَى طُلَّابًا فِي الْمَدْرَسَةِ يَحْضُرُونَ عَلَى الدَّرَجَةِ التَّهَائِيَّةِ فِي الْإِمْلَاءِ دُونَ أَحْطَاءِ. وَيُمْكِنُنِي كِتَابَةٌ قَائِمَةٌ تَبْصُحُ بِلا أَحْطَاءِ، دُونَ الْمُسَاوَمَةِ بِذَلِكَ فِي مُحَدُودِيَّةِ بَشَرِيَّتِي. وَقَطْعًا، لَطَالَمَا أَدْرَكَ التَّعْلِيمُ الْقَوِيمُ صِحَّةَ مَقُولَةِ "erroris humanum est"، وَأَنَّ الْبَشَرَ لَدَيْهِمْ نَزْعَةٌ ارْتِكَابِ الْأَحْطَاءِ. وَلِهَذَا السَّبَبِ، تَدَخَّلَ الرُّوحُ الْقُدُسُ لِلْإِشْرَافِ عَلَى كِتَابَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَلِهَذَا اجْتَهَدَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ لِيُوضِّحَ أَنَّ تِلْكَ الْأَسْفَارَ الَّتِي كَتَبَهَا بِالْفِعْلِ كُتِّبَتْ بِبَشَرِيَّةٍ لَيْسَ فَقَطْ بِالْإِمْكَانِيَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ لَهُؤُلَاءِ الْكِتَابِ الْبَشَرِيِّ، وَإِنَّمَا حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ، وَأَيَّدَهُمْ، وَحَفِظَهُمْ مِنَ الْمَيْلِ الْبَشَرِيِّ إِلَى ارْتِكَابِ الْأَحْطَاءِ، بِحَيْثُ لَدَيْنَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، نَظِيرُ طَبِيعَةِ الْمَسِيحِ، طَبِيعَةً ثَنَائِيَّةً لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، بِسَبَبِ بَشَرِيَّةِ الْكِتَابِ الْبَشَرِيِّ، الْحَقِيقِيَّةِ، وَالْوَهِيَّةِ الْكَاتِبِ الْأَسَاسِيِّ، الْحَقِيقِيَّةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. فَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ.

مُجَدِّدًا، نَرَى فِي الْكَنِيسَةِ الْيَوْمَ أَنَّ بَارْتُ، مَثَلًا، يَقُولُ إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ لَيْسَ "كَلِمَاتِ اللَّهِ". فَهُوَ كَلِمَاتُ بَشَرٍ، لَكِنْ تَحْتَ تَأْثِيرِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَحِينَ نَقْرَأُهُ، يَصِيرُ كَلِمَةُ اللَّهِ. فَهُوَ لَيْسَ "verbum Dei" - "كَلِمَةُ اللَّهِ" - فِي حَدِّ ذَاتِهِ، أَوْ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ، لَكِنْ فَقَطْ حِينَ نَقْرَأُهُ، بِمَعُونَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَاسْتِخْدَامِهِ لِلنَّصِّ، يَصِيرُ مَا هُوَ لَيْسَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. لَا يَزَالُ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ، لَكِنْ لِلْأَسْفِ، هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ الَّتِي تُحْطِئُ. وَهَذَا بِمَثَابَةِ ابْتِلَاعِ الْجَمَلِ. فَلَا أَصْدَقُ كَيْفَ يُمَكِّنُ لِشَخْصٍ عَاقِلٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ وَثِيقَةً بِهَا أَحْطَاءٌ هِيَ كَلِمَةُ اللَّهِ. فَإِذَا كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ، فَهِيَ لَنْ تُحْطِئُ. وَلَوْ كَانَتْ تُحْطِئُ، لَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ.

في مُحَاضَرَتِنَا التَّالِيَةِ وَالْأَخِيرَةِ، سَنَتَنَاوَلُ بَعْضَ الْبَرَاهِينِ الْأُخْرَى عَلَى ادِّعَاءِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خِدْمَاتِ لِيْجُونِيَرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقِدِّيسِ أَنْدْرُو ( St. Andrews Chapel ) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ ( Reformation Bible College ) وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهَوْتِيُونًا" و"أَدَهْسِنِي الْأَمَّ".